

الطائفة النخبوية.. والمناعة المجتمعية

جيش من الكُتاب والإعلاميين المؤدجين، وغرس عقيدة الولاء فوق الوطن لإنتاج أفراد ولاؤهم الأول والأخير لولاية الفقيه، وليس لدولهم.

ويغيب عن هذه الفئة أن وضع الشيعة العرب في أوطانهم المستقلة أفضل بكثير من أوضاعهم في الدول التي يهيمن عليها نظام ولاية الفقيه مباشرة، لكن غسيل الدماغ الأيديولوجي يعمي عن هذه الحقيقة. أخيراً.. هندسة الولاء للخارج والمناعة المجتمعية

تتفرد القيادة الإيرانية في كسب الأتباع والولاءات بقدرتها على هندسة منظومة متكاملة من الإغراء والترهيب والإقناع، تستهدف الفرد من عدة جوانب في آن واحد، وتجعل منه أداة طيعة في مشروعها الإقليمي. هذه الآليات أثبتت فعاليتها في خلق أفراد يشعرون بولاء أقوى لمرشد إيران منه لدولهم التي ولدوا ونشأوا فيها، ما يخلق تحديات أمنية وسياسية معقدة لدول المنطقة.

وبرؤية أخرى، إن ما تتعرض له المنطقة ليس مجرد «عمليات تجسس»، بل هو تطبيق عملي لنظرية «الطائفة النخبوية» بكل تناقضاتها. إن نظام ولاية الفقيه يتعامل مع أتباعه في الخارج ليس كمواطنين، بل كموارد بشرية يمكن استثمارها.

ومواجهة هذه الظاهرة لا تتم فقط بالقبض على الخلايا، بل ببناء جهاز معرفي قوي يفضح ويحلل، ويكشف الطبيعة الطائفية لهذا النظام، ويبني منظومة قيمية وفكرية وطنية جديدة ومقنعة، ما يمكن الأفراد من بناء مناعة فكرية مجتمعية، ويكون طليعة التصدي لهذه الأيديولوجيا.

sr@sameerarajab.com

كأذرع للنظام الإيراني تحت غطاء ديني، وتتولى هذه المهمة شبكة من رجال الدين المدربين.. وثانياً: الترويج لولاية الفقيه كإطار مركزي، من خلال الشبكات والأذرع، وفي الخطب والمواد التعليمية والبرامج التوعوية، بما يضمن خلق الإيمان والولاء المطلق.

3- آلية الاستقطاب الإعلامي التي تتم عبر قنوات فضائية تحريضية تعمل إيران على تمويلها وتشغيلها للبت باللغة العربية، بهدف زرع أفكار ورؤى المشروع في الشيعة العرب من عامة الناس، مع التركيز على سردية الضحية والمقاومة.

لقد أنتجت هذه القنوات الفضائية جيشاً من الكُتاب والإعلاميين المؤدجين، في أوطانهم، لزرع الأفكار، وهذا الخليط يخلق فرداً «مستقطباً» يفكر خارج النطاق الوطني، إلى درجة أن قادة النظام الإيراني تفاخروا بنجاحهم في تصدير الثورة إلى دول خليجية وعربية.

وفي الأطر الكلية، يتم دعم تلك الآليات من خلال عمليات معقدة من الحوافز الاقتصادية وسياسات الترهيب؛ حيث الإغراءات المالية بموازاة المراقبة للأماكن العامة لضمان الالتزام بالشعائر، وعقوبات مصادرة الممتلكات والسجن للمخالفين في الداخل، والتهديد بالطبيعة المجتمعية والقتل السياسي للمخالفين في الخارج، يعدان من الأدوات والممارسات الممنهجة في أداء الشبكات العاملة على حماية الطائفة النخبوية.

«الخبانة» المبرمجة.. أتباع بلا أوطان إن ما يُقرأ أحياناً في وسائل الإعلام أو التحليلات الأمنية على أنه «خبانة» من أبناء الوطن، هو في كثير من الأحيان نتاج هندسة اجتماعية متقنة، تبدأ بعملية غسيل أدمغة ممنهجة وواسعة للشيعة العرب، وإنتاج



○ بقلم:

سميرة بن رجب.

منظومة متكاملة من الآليات التي تضمن له البقاء، تشمل:

1- التعليم وإعادة إنتاج العقيدة من خلال إخضاع المناهج للدين، بما لا يمكن فصل أي موضوع دراسي عن الأفكار الدينية وفق العقيدة الرسمية؛ ومن خلال كتب مدرسية «مغسولة» تعمل على الترويج لفكرة تفوق الإسلام، كما تراه الحكومة، على جميع الأيديولوجيات الأخرى؛ ومن خلال جامعات، ومؤسسات تعليمية، مكرسة لاستقدام مسلمين من إفريقيا وأمريكا الجنوبية، وأقاصي العالم، وتحويلهم إلى المذهب الشيعي، ثم إرسالهم لنشر الثورة الإسلامية.

2- الآلية الثانية هي توظيف الدين والشبكات، من خلال أولاً: المساجد كأذرع أيديولوجية، حيث العديد من المراكز الدينية (مثال المركز الإسلامي في هامبورغ بحسب مصادر ألمانية) تعمل

الفصل بين الدين والسياسة. السمة الثالثة والخطيرة هي استعداد هذا النظام للتضحية بالأتباع، وكان أقسى تجلياتها هو إرسال آلاف المراهقين بتصاريح دخول الجنة لإزالة الألغام في الحرب العراقية الإيرانية، وتتجلى أيضاً في ممارسات العنف الصارخ في قمع الاحتجاجات بالرصاص الحي، على سبيل المثال وليس الحصر.

يعد الانغلاق الفكري، السمة الرابعة، والأكثر وضوحاً في ثقافة النظام الإيراني، التي تتجلى في وصف المخالف له دائماً بأنه «خارج عن الملة» و«عميل للغرب»، إضافة إلى رفض أي شراكة فكرية حقيقية مع الآخر.

السمة الخامسة، التي لها مدلولات كثيرة، هي اعتماد النظام على قيادة كاريزمية معزولة متمثلة في المرشد الأعلى في قمة هرم السلطة، ومحاط بفكرة «العصمة» شبه الدينية، بكل تجليات الحصانة ضد أي مساس، من قريب أو من بعيد.

ومن كل ما سبق تنتج السمة الأهم والأكثر خطراً، وهي الولاء المطلق للجماعة، التي تتجلى في أن ولاء الفرد للحزب وللمرشد يتقدم على الولاء للوطن أو الأسرة.

هذا الهيكل «الطائفي النخبوي» هو الذي يُنتج الحاجة إلى آليات متطورة من «غسيل الدماغ» لضمان بقاء النخبة الحاكمة، معتبرة أن المجاعة، والتضخم، والفساد، أو حتى تفكك الدولة، كلها تضحيات مقبولة لاستمرار نظامهم العقائدي.

آليات «غسيل الدماغ» الرئيسية.. من المهد إلى اللحد

ولتحويل هذه العقيدة إلى كيان حي في أذهان الملايين أقام النظام الإيراني

إن مصطلح «غسيل الدماغ»، الذي يعني تحويل الأفكار بوسائل ضغط خارجية، قد يكون قاسياً، لكنه يصف بدقة آليات ممنهجة ومتكاملة طبقها نظام ولاية الفقيه عقوداً. هذا النظام لم يكتفِ بفرض أيديولوجيته على الإيرانيين، بل صدرها إلى الخارج، واستهدف التجمعات الشيعية العربية كحجر زاوية في مخططاته.

تمكنت الأجهزة الأمنية في دول الخليج العربي من تفكيك ما لا يقل عن 9 خلايا إرهابية وتجسسية مرتبطة بهذه الآليات خلال أسابيع فقط منذ بدء الهجوم الإيراني على دول الخليج أثناء الحرب الأمريكية الإسرائيلية ضد إيران، ما يؤكد أن تحليل هذه الآليات (غسيل الدماغ) ليس مجرد نقاش أكاديمي، بل ضرورة لفهم طبيعة الاختراق الذي تتعرض له المنطقة.

إيران كنموذج «لا يشبه الطائفة»..

الطائفة السياسية النخبوية طالما أسىء فهم طبيعة نظام الحكم في إيران، بينما المؤشرات تشير إلى أنه من الأكثر دقة وصف هيكل القيادة الإيرانية بأنه «طائفة نخبوية»، وليس مجرد دولة ذات نظام سياسي استبدادي. هذه المقاربة تفسر كثيراً من السلوكيات التي تبدو غير مفهومة بمعايير العلاقات الدولية التقليدية... فما هي سمة هذه الطائفة، وما هي تجلياتها في نظام ولاية الفقيه الإيراني!!

السمة الأولى هي السلطة المطلقة التي لا تساءل، وتتجلى في سلطة الولي الفقيه التي تتجاوز المؤسسات المنتخبة، وتعامل كحقيقة مقدسة لا تقبل الجدل.

السمة الثانية للطائفة النخبوية الإيرانية هي أنها ذات عقيدة مركزية تحتكر الحقيقة، وتتجلى بشدة في الترويج لإيران كقلب العالم الإسلامي (أم القرى)، وعدم